الشخصيات الكُردية

يتضمن هذا الفصل إنطباعات الرحالة والمستشرقين عن الشخصيات الكُردية التي إلتقوها أو تعرفوها بشكل غير مباشر واثرت فيهم بشكل أو بآخر، ولاندّعي ان هذا الفصل سيكون موسوعة بكل من ورد إسمه من الكُرد في مدونات الرحالة، بل سنختار من كان له حضوره المؤثر اما بنوع السلوك الذي صدر عنه أو بسبب تكرار الالتقاء كأن يكون مضيفاً لصاحب المذكرات.

ان الإنطباعات التي يسجلها هؤلاء عن الشخصيات الكُردية هي إنطباعاتهم وليست إنطباعات مؤلف هذا الكتاب ونرى في هذا الفصل نوعاً من الخصوصية السايكولوجية ذلك ان الإنطباعات ستكون سمات شخصيات هؤلاء الناس التي يمكن بمجموعها ان ترسم لنا ملامح الشخصية الكُردية القيادية بشكل تقريبي ومن منظور أجنبي.

وهنا نجد من الضروري ان نوضح اننا تبنينا التسلسل (الألفبائي) للأسماء في أولوية ذكر كل شخصية من الشخصيات المذكورة في الفصل. كما حذفنا الالقاب الأولى مثل شيخ وسيد وابقينا (حاجي) لانه يأتي كإسم علم ايضاً في الكُردية.

إبراهيم آغا دزَيي

يتحدث السير مارك عن لقائه بـ إبراهيم آغا دزَيي ولايحدد السنة التي إلتقاه في مخمور لكنه بالتأكيد قد إلتقاه قبل عام ١٩٠٤ تاريخ طبع الكتاب.

يذكر سايكس ان إبراهيم آغا كان مسؤولاً عن ١٢٠٠٠ عائلة، وقد ذكر إبراهيم آغا ان عملية الزواج بين الكُرد والعرب يعطي عرقاً جيداً، ويعلق سايكس في هامش من ذات الصفحة ان إبراهيم آغا ربما ذكر ذلك لأن والَده كان كردياً ووالدته كانت عربية.

ويصف سايكس المهام التي يقوم بها إبراهيم آغا في حياته اليومية أي المشكلات التي عليه حسمها وكذلك أنواع البشر الذين يزورونه ويحادثونه في مجلسه فيخرج بنتيجة ان المساواة بين البشر متحققة في الشرق، وهو يسأل القاريء ما اذا كان (الدوق) في مدينة إنكليزية مستعداً لاستقبال القصاب والكناس وأصناف من عامة الشعب في مجلسه (١٨٨) ويرى انهم أي الإنكليز لن يصلوا الى هذا المستوى من الديمقراطية ابداً.

الحقيقة، ان ما ذهب اليه السير سايكس شيء جميل ولكن لايمكن ان نتفق معه من حيث التعميم. فاذا كان إبراهيم آغا دزَيي متواضعاً فهذا لايعني ان كل الاغوات أو الباشوات

والبيكات في كُردستان كانوا على شاكلة إبراهيم آغا. ان مؤلف هذا الكتاب يعرف جيداً ان هناك من الرؤساء الكُرد ممن لعبوا بمقدرات هذا الشعب وماله وحريته وامنه ما لم يفعله أي (دوق) في مدينة إنكليزية، فعلى سبيل المثال لا الحصر ستبقى مدينة زاخو تجأر وهي تتذكر جراحات الأربعينيات والخمسينيات على يد (دوقها) وهو بدوره كان (آغا) من اغوات الكُرد. ان ما فعله لم يفعله أي دوق من دوقات العصور المظلمة في اوربا. لذا فأن انبهار مارك سايكس بإبراهيم آغا هذه الشخصية التي اثنى عليها هَيْ ايضاً حاكم أربيل السياسي، هي ليست الشخصية العامة أو المثل العام لكل متنفذي كُردستان. وان المساواة لم تحصل في كُردستان بالشاكلة التي تراءت للسير مارك لو انه عاش كواحد من مواطنيها وكثيراً ما استخدمت (المظاهر) الديمقراطية قناعاً لأبشع جرائم اللاديمقراطية.

يصف هَيْ ان إبراهيم آغا دزَيي عندما إلتقاه، كان في السبعين من عمره وان بدا اقل عمراً من ذلك اذ كان يصبغ لحيته وشعر رأسه وهو متوسط القامة ذو ناصية عالية وله عينان براقتان سوداوان وانف بارز. ان وجهه ذو تجاعيد خلفتها سنين عمره الحافل بالمتاعب والأحزان وقد واجه في حياته الكثير من الإقتتال والجهد لكن شخصيته صقلت وكأنها الذهب الإبريز الخالص. ولما كان ذا شخصية نفّاذة لذا كان يعبده ذوو قرباه وأتباعه.

وكان يرد على أحاسيسهم بعطف حار وانصراف الى كل ما يريحهم. كان رجلاً شيخاً ماهراً حاذقاً ودبلوماسياً ومحدثاً ممتازا ويملك قريحة جيدة وهو، محلياً، صانع تاريخ، ذلك انه طوال(٣٨) سنة خلت وفي أيام أبيه قاد طائفة من الأكراد عبر جبل قرة جوخ واسس مدينة (مخمور) وفيها، أثر سنين عديدة من الاقتتال بإزاء عرب شمر - ثم الأتراك وفق الى بناء كيانه وبادر الى زراعة منطقة جوخ بعد ان كانت بوراً قاحلة.

لقد دخل إبراهيم آغا في معارك عدة ضد رؤساء الدزَيي المنافسين له، وقد فقد ولده البكر خلال تلك المعارك اما ولده الثاني فكان (مشير اغا) وهو شاب في العشرين من العمر مرح وحذر وقيل ان والده إبراهيم آغا كان على الشاكلة نفسها في شبابه.

كان إبراهيم آغا يملك (٣٠) قرية وينظر اليه الاخرون كونه زعيمهم، وهو وعشيرته الاقربون يعرفون باسم فرع (بايز) في قبيلة الدزَيي وهو مسمى على اسم ابيه. (٢٠٤)

ويعجب مستر هَيْ بإبراهيم آغا وجماعته وبحسم الصراعات لاسيّما ان مستر هَيْ كان قد ذهب الى المنطقة وهو يحمل شروطاً منها حفظ الأمن وحسم المشاكل التي كان رؤساء القبيلة مسؤولين عنها ومن شروطه عليهم دفع غرامة قدرها (٢٠٠) بندقية وايداع مبلغ (١٥٠٠) ليرة عثمانية لمدة ستة اشهر هذه الشروط التي يعترف مستر هَيْ ان لولا سيطرة إبراهيم آغا على جماعته لما دفعت ولاضطر مستر هَيْ ان يحسم المشكلة مع الدزَيي عسكرياً.

تم الإعتراف بإبراهيم آغا من قبل القبيلة كلها رئيساً رسمياً واصبحت المناصب الأخرى بيد جماعة إبراهيم آغا (٢٠٨).

ويذكر مستر هَيْ انه شرع في تقديم العون لقبيلة الدزَيي التي هي بدورها قدمت له الجزاء الاوفى اذ انقذته عندما تأزمت الامور عليه في أربيل وباتت حياته في خطر.

إبراهيم باشا الملي

لقد التقى السير مارك سايكس بالشخصية الكُردية إبراهيم باشا الملي اكثر من مرة في مطلع القرن العشرين ويضرب سايكس مثالاً على الشخصيات العظيمة التي التقاها، فيذكر ان إبراهيم باشا الملي الذي كان قد بسط نفوذه على منطقة واسعة من "الجزيرة" أي شمال سوريا (٣٢٦).

يحدد الدكتور سعد ناجي جواد المناطق التي يسكنها الأكراد في سوريا بشكل عام ثم يذكر ان المنطقة الشمالية من سوريا والتي يسكنها الأكراد يطلق عليها اسم محافظة الجزيرة (٦) أي امتداد كُردستان تركيا.

ان إنطباعات سايكس عن إبراهيم باشا الملي انه شخصية غريبة، فهو قائد طبيعي للرجال، ونظن ان مارك سايكس يريد القول ان إبراهيم باشا يتمتع بسمات قيادية اصيلة غير مصطنعة، أي له شخصية قيادية ويمتلك كل ما يمتلكه الرجال الذين خبروا تغيرات صروف الزمان وتقلبات الحياة، فضلاً عن إمتلاكه قوة عظيمة في السيطرة على النفس، ومع هذا في بعض المواقف تجده عاصياً مشاكساً مثل طفل.

ويذكر سايكس انه يشعر برغبة شديدة في دراسة شخصيته، ولأننا نجد فيه ما يشبه نوعا من الرجال الذين انقرضوا في إنكلترا يطلق عليهم سايكس الـ(warwick) وفي ذات الوقت يرى سايكس ان في القريب العاجل سوف لاتستطيع تركيا إستيعابه.

ويضيف، اننا نجد فيه، أي في إبراهيم باشا الملي، نبيلاً (بارون) اقطاعياً وحاكماً مطلقاً شرقياً وزعيماً بدوياً (٣٢٦).

ويضيف مارك سايكس، ان إبراهيم باشا كان يملك ١٤٠٠٠ حصاناً، وكان جده قد اعدم في مدينة دياربكر في كُردستان تركيا (٣٠٢).

ويصف وصوله الى موقع الباشا -الذي كان قد التقاه مرة سابقة- اذ خرج الباشا للقائه واحتضنه على الطريقة البدوية مقبلاً كتفه الأيمن، وأدخله حالاً الى خيمته العظيمة التي كان عدد اعمدتها ١٠٠ عمود وتقدر مساحتها بـ ١٥٠٠ ياردة مربعة من النسيج، وقد أجلسه

بجانبه على الاريكة الواطئة وكان ثمة ١٥٠ رجلاً يقفون حول هذه الأريكة، ويبدو انهم كانوا رجال حراسة وخدمة داخل الخيمة. وكان امام الاريكة مجمرة نار من روث الجمال وعليها الاواني المعتادة للقهوة (الدلات).

بعد ان ذكرنا سمات شخصية إبراهيم باشا الملي من الناحية النفسية، نجد سايكس يصفه جسمياً، فهو طويل القامة وله بنية رشيقة ووجه كردي نقي وانف كبير وعينان ثاقبتان فضوليتان (استشفافيتان) وجبهة عالية وفم كبير، ويمكن ملاحظة تعابير البأس مرسومة على وجهه تلك التعابير التي يمكن ان تبدو على سحن سكنة الخيام الذين يعيشون في الصحارى المشمسة.

ان نظرته لم يقلل منها جرح السيف الذي كان قد اصاب اسفل العين الذي جعل الجفن متهدلاً، ويضيف سايكس هنا بعض السمات النفسية فيتحدث عنها ثانية اذ يقول، يبدو عذباً في كلامه وسعيداً وصريحاً وملامحه عموماً مؤنسة.

ويشيد سايكس بدهشة بالمعلومات الدقيقة التي كان يمتلكها إبراهيم باشا الملي حول الشؤون الأوربية وعلاقات بريطانيا مع ايرلندا وبكثير من القضايا التي تفوق بمعلوماتها ما كانت تنشره الصحف التركية ويبدو انه كان مطلعاً على مصادر معلوماتية أخرى فضلاً عن الصحف التركية الكثيرة التي كان يزود بها (٣١٧).

لقد شاهد سايكس عدداً من اللاجئين من قوميات وطبقات مختلفة ركنوا اليه، طالبين حمايته، وهو بحسب التقاليد القبلية لايستطيع الا وان يحميهم وبعد احاديث قصيرة حول موضوعات مختلفة، يذكر سايكس انه اخذه الى خيمته الخاصة -أي الخيمة المعدة لمارك سايكس- واطلعه على رسالة كان قد إستلمها من الـ(Grand Vzir: الوزير الأكبر) واعتقد انه يقصد رئيس وزراء الدولة العثمانية الذي كان يسمى بالصدر الاعظم يطلب فيها وضع السير مارك سايكس تحت مراقبته الشديدة وتسجيل كل ما يقوم به، ثم سأل إبراهيم باشا سايكس، ماذا عليه ان يفعل إزاء هذا الأمر فأجاب سايكس، ان الأفضل قول الحقيقة وكتابة تقرير عنه بانه يقوم بسفرة لغرض التسلية والتزود بالمعرفة (٣١٨-١٩) أي بعبارة أخرى اراد سايكس ان يقول انها سفرة ترفيهية وعلمية.

يضيف مارك سايكس ان إبراهيم باشا حدثه عن أكراد الملي كقوم منفصل عن الآخرين واوضح بأن سلطته تمتد الى رقعة أوسع من قبيلته التي يرأسها، وكذلك أخبره بان الكُرد في الاصل يتشعبون الى ثلاث شعب، الفرع الأول هم الملي والفرع الثاني هم الزيلان والفرع الثالث هم أكراد بابان (٣١٩).

أبو بكر (ملا أفندي)

يبدو ان مستر هَيْ كان كثير الاستشارة مع ذوى الشأن من أهالي مدينة أربيل وكان ملا أفندي أحد الاشخاص الذين يجالسون مستر هَيْ، فقد دأب الأخير على الاجتماع بوجهاء أربيل كل يوم جمعة بعد الظهر ليبحث القضايا المهمة أثناء احتساء الشاي. ويطلق هَيْ على هذا المجلس من باب الدعاية (البرلمان).

وكان المواظبون على حضور هذا المجلس هم ملا أفندي وسيد عبدالله باشا والمفتي وعلي باشا والحاج رشيد آغا واخرون ممن هم اقل شأناً من هؤلاء. والأشد خطورة كما يذكر هَيْ هو (ملا أفندي) وكان يزوره في بيته غالباً الكائن في (باداوه) وهي من ضواحي مدينة أربيل وكان ملا أفندي شاهداً على المفاوضات التي جرت مع رؤساء الدزَيي.

ويبدي هَيْ إعجابه بباداوه وموقعها اللطيف والبساتين التي كانت تحيط بها والدار التي كان يسكنها ملا أفندي الذي فيه روضة وحوض ماء وكذلك يشيد بالاثاث الداخلي للدار.

يمضي ملا أفندي نهاره في المسجد الكبير في أربيل فهو امام هذا المسجد ثم يخلد الى مأواه في المساء وان اسمه الحق (ابو بكر) لكنه يعرف دوماً بـ(الملا الصغير) و (ملا أفندي)، وهو قصير القامة ذو ملامح مصقولة، تقي ورع ويبدي هَيْ إعجابه بيديه الرقيقتين، وهو يرتدي في العادة جبة طويلة رمادية تبلغ قدميه ويضع على رأسه طربوشاً لف حوله القماش الموصلي (موسلين) ازرق اللون فاتح. انه مبجل في كُردستان كلها واهلها يتابعون اخباره وحصل اسلافه على سمعة كهذه.

وعلى النقيض من افراد اسرته فقد كان يحرص على قراءة النشرات التي تأتي من مصر وتركيا، واحاديثه ذكية تتناول موضوعات السياسة والعلم.

لقد سأله هَيْ يوماً سؤالا عن وجهة نظره في الوضع القائم في بلاد ما بين النهرين (العراق) فأجاب ان كل فرد يتوق الى رؤية بلاده (الأم) مستقلة ثم أضاف ملا أفندي، ان الحسد المتبادل قد فرقنا شر تفريق وليس هناك من يصلح للحكم. نريدكم ان ترعوا امورنا حتى يعود الامن والسلام اليها ونصبح على حكم انفسنا قادرين.

ويعلق هَيْ على وجهة النظر هذه، ان ملا أفندي بقي مخلصاً صادقاً لمثل هذه السياسة وعلى الرغم من ملازمته فانه رفض أي منصب حكومي، ودأب على مد الحكومة واعانتها باقصى ما لديه من نفوذ وقوة، وقد قاد اكثر من أي شخص آخر الرأي العام في أربيل.

ويتحدث هَيْ باسف شديد عن اصابة افراد اسرة ملا أفندي جميعاً بداء السل وتوفيت

زوجته وثلاث بنات له بهذا الداء ولم يبق عنده الا ابن صغير في الخامسة من عمره (٢١٣-٤).

أحمد باشا

يتحدث مستر هَيْ عن أحمد باشا دزَيي انه كان كثير الكلام وضئيل البنية وعمره اكثر من ستين عاماً وحظه قليل من التعليم ولكنه كان تاجراً ناجحاً وهو - أميَل الى التجارة منها الى رئاسة القبيلة، وكان يعرف بـ(كافروش) أي بائع التبن، ويبدو عليه الحرص الشديد على جمع الثروة. لم يكن غنياً في بداية حياته، بل كان من هواة لعبة (الطاولي). ولكنه فكر من بعد ان يشيد قرية في كنديناوه وفعلاً بدأ يجذب المزارعين اليها ولكن حصاد السنة الأولى باء بالفشل فقدم الى الحكومة طلباً يرجوها اعطاءه قرضاً كي يستطيع هو وجماعته من شراء حبوب للربيع التالي.

يذكر مستر هَيْ ان أحمد باشا بدأ يقرض الفلاحين من هذا المبلغ وإزدهرت الزراعة عنده من بعد فاصبح يملك مع أبناء عشيرته الاقربين نحو (١٨) قرية ويقال انه كان يحتفظ بـ(٢٠٠٠٠٠) من الجنيهات من الذهب في بيته وكان يستطيع بثرائه ان يشتري عون الحكومة العثمانية في صراعه مع إبراهيم آغا.

ولكن على ما يذكر مستر هَيْ، ان أحمد باشا بعد ان وجد انه لايستطيع شراء العدالة البريطانية عمد الى اظهار تحيّزه بإزاء الحكومة ولعله كان المحرك الاول للاضطرابات الراهنة (٢٠٥).

إسماعيل بك الراوندوزي وباويل آغا

إلتقى هاملتون بإسماعيل بك الراوندوزي في المدة التي كان يعمل بها في المنطقة مهندساً لشق طريق راوندوز-أربيل.

يذكر هاملتون ان إسماعيل بك الراوندوزي اوسع الزعماء نفوذاً في راوندوز وظل سنوات يمثل منطقته نائباً في البرلمان العراقي وهو المالك بحكم الوراثة معظم الاراضي المجاورة وليس ثم من يفوقه شرف المعاملة أو إحتراماً عند الفلاحين كرداً واثوريين على حد سواء. وقف إسماعيل بك الى جانب النظام والقانون ولم يتردد -حسب قول هاملتون- في كبح جماح كل قبيلة يخطر ببالها ان تشق عصا الطاعة على السلطة المنتدبة واستخدام سلطته الواسعة اكثر من أي كردي اخر لاقناع بني قومه بالفائدة التي ستعود عليهم من شق هذا الطريق الذي

سينفذ الى داخل كُردستان ولن يعلو لهم شأن أو تنعم كُردستان بالرخاء الا بعد تعبيد الطريق في جبالها وكان يؤمن ان الرخاء المنشود يمكن الوصول اليه بعون الشعب البريطاني.

ويعلن هاملتون ايضاً، ان إسماعيل بك كان واحداً من عدة رجال كرد ادركتهم الخيبة المرة لانتهاء الانتداب قبل السنوات الخمس والعشرين المعينة في بداية الامر.

الحقيقة ان ما ذكره هاملتون تواً عن الخيبة التي شعر بها إسماعيل بك لانتهاء الانتداب البريطاني مبكراً لها اسباب عند إسماعيل بك، ذلك انه أي إسماعيل بك كان قد حسم موقفه وأيد البريطانيين وكان يجد من الوضع السياسي انذاك اهمية البريطانيين مباشرة سنداً له اذ كان مهدداً بالقتل فقد كان باويل آغا وابنه نوري يتعقبانه وينتظران الفرصة المناسبة لاخذ ثأرهما منه، ولكنه كان قد نصب حاكماً عسكرياً لراوندوز وصدق هذا التعيين النقيب هَيْ نزولاً عند رغبة معظم أهالي راوندوز وإسماعيل بك ما يزال فتى لم يتجاوز الثمانية عشر عاماً من عمره ولكن اسرة باويل آغا في راوندوز كانت مناوئة لاسرة إسماعيل بك، وكانت اصابع الاتهام تؤشر الى باويل آغا في مقتل سعيد بك والد إسماعيل بك.

ان هاملتون وهو صديق شخصي لإسماعيل بك يعتقد بخطأ تعيين إسماعيل بك انذاك حاكماً عسكرياً لمدينة راوندوز وربما لصغر سنه أو للخصومة المستفحلة بينه وبين باويل آغا.

على الرغم من ان هاملتون كان معجباً اشد الإعجاب بشخصية إسماعيل بك اذ يذكر عنه، انه كردي قح وسليل حكام متوارثين حكموا راوندوز منذ القديم ولذلك ليس ثم اجدر منه لمساعدة البريطانيين في اقامة حكم مستقل في العراق. وكان ذكاؤه فوق الذكاء الاعتيادي وهو يتكلم اللغات الفارسية والتركية والعربية والإنكليزية فضلاً عن لغته الام. لكنه قليل الخبرة بالرجال وبالحكم على كفايات ناصحيه الكثيرين بسبب نشوئه في كنف امه واهمال ابيه له، ولا شك ان النقيب هَيْ كان غير مرتاح الى هذا التعيين نوعاً ما.

لقد طلب من شيوخ ووجهاء مدينة راوندوز القسم على المصحف بالولاء الى إسماعيل بك ولم يحضر نوري ولكن والده باويل آغا حضر وعندما حان دوره، وضع يده على المصحف ونطق بالعبارة التالية وبوضوح كاف (سيصفو قلبي لإسماعيل بك طالما صفا قلبه لي) (٢٢٠) وقد التفت الجميع مبهوتين الى الرجل الذي ابطل يمينه بشرطه.

لقد اعلن نوري باويل التمرد والقي القبض عليه وارسل مخفوراً الى أربيل ومن هناك الى بغداد ثم افلت في الطريق وهرب وعاد الى الجبال ليصبح خطراً حقيقياً ولاسيّما إبان ثورة العشرين التي راحت تمتد نارها من الجنوب حتى الموصل وبنوري طليقاً لابدّ ان الثورة ستبلغ جبال كُردستان اللهم الا بأتخاذ خطوات حازمة ضده ثم القي القبض على والده باويل آغا وزج

في موقف أربيل (٢٢٢).

وانضم نوري الى قوات الثوار في جبهة عقرة ثم استطاع باويل آغا وابنه نوري السيطرة على مدينة راوندوز وظلت المدينة في قبضة الثوار حتى عاد البريطانيون الى احتلالها واخمدوا الثورة وعاد إسماعيل بك الى راوندوز لكنه لم يتول الحكم فيها بل اصبح السيد طه شمزيناني مسؤولاً عن مدينة راوندوز (٢٢٤) وبقي إسماعيل بك يعاني من قلق الثأر وهذا ما تم فعلاً اذ قتل على يد نوري آغا في الطريق الى راوندوز. لقد طلب إسماعيل بك من هاملتون ان يشتري له جهاز راديو وفعلاً اشترى هاملتون له هذا الجهاز أثناء عودته من احدى اجازاته من لندن. ويذكر هاملتون هذا الموضوع اذ يقول، لقد كان إسماعيل يتابع حال الدنيا بعينين حادتين ذكيتين ويركز إهتمامه بكل التطورات التي يقع عليها في ميادين العلم والصناعة دون ان يجعل من تأخر بلاده وبداوتها عقبة في إهتمامه بذلك...

ويعقب هاملتون اذ يقول ولذلك لم تعترني الدهشة عندما وجه إسماعيل بك الحديث الى تقدم التلغراف واللاسلكي والبث الاثيري في السنوات الأخيرة وقال ونحن جالسين في جو ليلة هادئة يغلب عليها العلم والثقافة:

لا ادري هل سيكون بامكانك ان تأتيني بجهاز لاسلكي عند عودتك من اجازتك؟

قيل لي ان ثمة اذاعات كثيرة تصدر عن اوربا وتركيا وروسيا. وانا احب بنوع خاص سماع الاذاعات الإنكليزية فانا اتكلم اللغة واستطيع تعقيب الانباء والانصات الى موسيقاكم الغربية (٢٢٨).

يذكر هاملتون، لايعرف كيف سمع نوري بمقدم إسماعيل بك فترصده مع جماعة من ثلاثين شخصاً، وكان نوري انذاك قد عين "مفوضاً في الشرطة" وتحققت هذه الجماعة على جانبي الطريق المؤدي الى راوندوز وعلى حين غرة انثال الرصاص منهمراً على سيارته ومع مقاومة رجال إسماعيل بك فقد أردي قتيلاً كما اصيب نوري بجراح ايضاً. ويعرب هاملتون عن استغرابه ان نوري لم يقم بأي محاولة للفرار بل سلم نفسه للشرطة طائعاً فأحيل الى المحاكم وبعد كثير من التأجيل والتردد حكم عليه بالموت شنقاً بعد تقديمه للملك استرحاماً للعفو مستنداً الى العادات العشائرية وابدل حكمه بالسجن المؤبد (٢٤٣-٤).

أمين باشا

يصف برانت لقاءه مع أمين باشا، باشا مدينة موش الكُردية في كُردستان تركيا - فيذكر ان بمجرد سماع الباشا بوجودي حتى خف الي مسرعاً هاشاً باشاً مستقبلاً لي بترحاب حار

سائلاً إياي عن صحتي وإعتدال مزاجي ويعقب برانت انه كان قد إلتقى بأمين باشا في أرضروم وكان هذا اللقاء الثاني به.

ويعطي برانت صورة قلمية عن باشا موش ، فهو أمين باشا سليل الاسرة العريقة تعاقبت على حكم باشوية موش ووان. ان جد الاسرة هو علاء الدين بيك؟ وكان سليم باشا والد أمين باشا قد اعدم عام ١٨٠٩ من قبل حاكم أرضروم، وابنه أمين مازال شاباً يافعاً له اخوان احدهما (شريف بيك) حاكم مدينة تفليس والاخر (مراد بيك) حاكم مدينة خينيس.

ان أمين باشا كما يذكره برانت شخص وسيم جداً، اما اخوته الباقون فعلى الرغم من عدم إمتلاكهم لمواهب الوجاهة السلطوية والشخصية التي يمتلكها أمين باشا نفسه، يتميزون باللطف والدماثة الخلقية ايضاً.

تتسم عائلة أمين باشا بالشجاعة وبتميز مواهبهم القتالية العالية، وبسبب من الكفاءة الشخصية والسمعة الطيبة فانها تمتلك تأثيراً قوياً وملموساً في سير الاحداث في عموم القطر.

لقد دعا أمين باشا برانت للغداء وكان يجلس معهم على المائدة مجموعة من ضباط الباشا لتناول الطعام. ان برانت يعلق على الاتكيت التركي، فان دعوة من هم اقل درجة الى وليمة عند الأتراك غير مسموح به، غير ان الكُرد لايعبأون كثيراً بمثل هذه المراسيم. ولاندري في الحقيقة ما اذا كان برانت عد الضباط الترك اقل منزلة منه ام انه عد نفسه اقل منزلة من الضباط الأتراك.

لقد دعا برانت أمين باشا الى خيمته لممارسة هواية التصويب بالاسلحة التي يهواها أمين باشا وفعلاً لبى الدعوة، ويعلق برانت على ذلك فيذكر ان الباشا كان جيداً في التصويب ولايخطيء ولكنه كان يرغب في فهم الية عمل الطلقة في البندقية.

ومن باب الإحترام والتقدير، عين أمين باشا حرساً خاصاً ببرانت لمرافقته الى دياربكر كمظهر من مظاهر التكريم (٢٩-٣١).

أمين عالي بدرخان

نستشف من مذكرات نوئيل انه كان قد رأى أمين عالي بدرخان أي نجل الأمير الكُردي المعروف بدرخان باشا مؤسس الامارة الكُردية وأبرز متحدي الامبراطورية العثمانية.

كان أمين عالي بدرخان كبير الاسرة البدرخانية بعد والده، طويل القامة، له لحية بيضاء وذو هيبة ونفوذ في كُردستان لاسيّما في منطقة بوتان. وفي ربيع عام ١٩١٩ رغب الترك

كثيراً في جعله واليا على دياربكر ولكنهم تراجعوا عن رغبتهم هذه اذ ادركوا جيداً ان أمين عالي بدرخان لايتنازل عن أحلامه في الاستقلال الكُردي.

ولقد حاول في حياته الهرب مرتين من استانبول المدينة التي (قررت) له ان يسكنها الى كُردستان والقي القبض عليه في مدينة بايزيد بعد قتال جرى بينه والقابضين عليه (٥٤).

والحقيقة فان نوئيل يسترسل في ذكر أبناء واحفاد الأمير بدرخان ولكننا اثرنا الاكتفاء بنجله الاول نموذجا لأبناء هذا الأمير الكُردي الثائر.

بير داود

يقول المستر هَيْ في وصفه للحاج بير داود انه كان من طراز مختلف. وهو رجل حسن المظهر نوعما وضئيل الحجم وفي الـ(٥٥) من العمر، ذو عينين سوادوين حادتين وشارب طويل وله صوت جميل ناعم ولم اسمع انساناً ينشد الشعر الفارسي انشاداً حسناً كإنشاده وكان هو وافراد اسرته جميعاً ذوو شعر احمر تقريباً وذوو اجسام دون المتوسط وهو حسن التعليم ومؤامر ماهر وكان ان اتفق مع أحمد آغا في الحركة بإزاء الحكومة وكان عقلها المدبر وكان ابناؤه يملكون نحو (١٨) قرية (٢٠٦).

جميل آغا كردي (تلفظ: Gardi)

يذكر هيْ، انه انتهز اول فرصة لزيارة جميل آغا زعيم عشيرة كردي (يلفظ الكاف G كما في Good) تقديراً منه لموقفه اذ لم يتعاطف مع الدزَيي في معارضتهم سلطات الحكومة، أي لعدم معارضته الإنكليز، وهو يقطن قرية (بحركة).

ويصفه هَيْ (٢٠٩) قائلاً انه طماع، محتال فخور ويهتم بالمظهر ولايفكر في شيء لا نفع له منه. لم ترسم السنون التجاعيد على وجهه وان له جسما حسنا وعينين سوداويين متنقلتين. لقد خدعني اول الامر بكلامه المعسول ووعوده الطافحة بالحذلقة، لكني علمت اخيراً انه احد أبناء طبقة وسيعة تقوم على خدمتي ما دامت واثقة من ان لها في ذلك نفعاً وفائدة ووجدت عنده مضيفاً جيداً ادخل فيه عدد من الكراسي المكسوة بالقطيفة. وكذلك يبدي هَيْ إعجابه بالطعام غير المألوف المقدم له فقد كان طعاماً فاخراً، كما كان هناك شيخ محبوب له لحية بيضاء اخذ يغني اغنيات فلكلورية شائعة.

ويذكر هَيْ انه من خلال الامسية تحدث مع جميل آغا عن بعض مثيري القلاقل في منطقة راوندوز، فتنهد جميل آغا وقال آه. انهم تافهون مغمورون ولو تركت الامر لي لسرت غداً

بـ(٢٠٠) رجل ولانهيت لك امرهم حالاً.

ويعلق هَيْ على هذه الحماسة انهم أي جماعة الكُردي لم يكونوا قادرين على اعداد اكثر من (٥٠) من حملة البنادق وطبيعي هذه إنطباعات هَيْ والمؤلف غير مسؤول عنها. لا بل لايشعر ان هَيْ قد انصف هذا الشخص الذي وقف الى جانبهم كما ذكر هَيْ بنفسه.

حاجي بدر آغا

وهو أحد رؤساء عشيرة رَشوان، إلتقاه نوئيل ويصفه بطول القامة وحسن المحيا ودمث الاخلاق وصريح ويبعث السرور في النفس ويقدر عمره بـ ٤٥ سنة واضحين لدى أبناء عشيرته، ويحاول ان تكون العلاقات بينه وبين رجال الحكومة حسنة قدر الامكان بالرغم من ان الحكومة التركية كانت قد اعتقلته لعدة اشهر بسبب فرار أبناء عشيرته من الخدمة العسكرية وتستره عليهم ومقاومته تسليمهم الى الحكومة ويصف نوئيل هذه العشيرة التي يرأسها حاجي بدر آغا بانها عشيرة اشتهرت بالشجاعة وتمتلك ما يقارب (١٠٠٠) بندقية جديدة وان عشيرته قادرة دوما على تجهيز (٢٠٠٠) فارس للمعركة. وقد اعطت هذه العشيرة للحكومة التركية (٢٠٠٠) مقاتل هرب الف منهم وعادوا الى قبيلتهم اما الالف الثانية فقد بقي منها (٩٠٠) مقاتل فقط (٣١).

هنا تجدر الاشارة ونحن إزاء الاحصائيات التي قدرها نوئيل، ان الحكومة التركية في حروبها كانت تجعل من الكُرد (رأس الرمح) أي تضعهم في مقدمة الجيش.

وأن هذا الاسلوب لم يكن دأب الحكومة العثمانية حسب بل دأب كل الحكومات المجاورة ايضاً لدى استخدامها للكرد في حروب ليس للكرد اي مصلحة فيها فكان الكُرد وقود هذه الحروب دوما (والى الله والتاريخ المشتكى).

حاجي زلال آغا

يذكر برانت انهم بلغوا قرية نارجي في مناطق دياربكر، وهذه القرية مقر اقامة حاجي زلال آغا الذي استقبل برانت وجماعته بترحاب بالغ وعرض استضافته وامر على الفور باعداد العشاء.

لقد كان حاجي زلال آغا كما يذكر برانت رئيس عشيرة كردي عجوزاً وكان قد قاوم ببسالة جيوش رشيد باشا وبالنتيجة أحرق بيته. ثم فر الى الجبال ولاذ بها، ولكنه اجبر من بعد على الاستسلام وحجز في دياربكر لمدة عام وبعدها اعيد الى منطقته، ولكنه لم يستطع ان يستعيد

وضعه السابق وبددت امواله وقتل اثنان من ابنائه الكبار في دياربكر وضعف بصره وكان يعاني من الماء الابيض في عينيه ولما علم ان في معيتي طبيباً (الدكتور ديكسون) طلب ان يفحصه، وكان المه شديداً عندما اعلمه الدكتور ديكسون ان علاجاً له عنده وعليه ان يسافر الى استانبول فهو بحاجة الى مداخلة جراحية.

لم يكن حاجي زلال آغا يتكلم الا نادراً مفضلاً اللغة الكُردية وقد عمل كاتبه كمترجم بينه وبين برانت.

لقد سأله برانت، كيف بلغ به الالم مبلغاً غير حكيم لمحاولة التصدي لمقاومة رشيد باشا ذي الصلاحيات الواسعة الممنوحة له من الملك.

فأجابه حاجي زلال آغا بانه لا هو ولا ابائه خضعوا في يوم لسلطة الباشوات ولم يدفعوا ضريبة للسلطان... ولذا فهو لايفهم سبباً لاجباره على القيام بذلك.

ثم يذكر برانت، ان حاجي زلال آغا عندما اكتشف ان برانت وكل من في معيته يقرأون ويكتبون سأل برانت فيما اذا كان الجميع أي الإنكليز يتقنون القراءة والكتابة فأجابه برانت ان معظم أبناء الريف الإنكليزي يعرفون ذلك ثم اجاب، انه في غنى عن ذلك لانه في حاجة دائمة الى حمل السلاح للدفاع عن ماله وعرضه وللدفاع عن مال وعرض المعتمدين عليه، وللانتقام من الذين اعتدوا عليه.

لقد كان حاجي زلال آغا يداري الحسرة والالم امام برانت وهو يتذكر الأيام الخوالي، فقد كان في شبابه يمتلك الاسلحة والخيل والمال والرجال غير انه مجرد الان عن كل هذا العز، وضعيف البصر وامكاناته محدودة.

لقد تحدث برانت مع زوجة حاجي زلال آغا، فيصفها انها كانت طويلة القامة، وعلى كثير من عادات الرجال، وقد اخبرت برانت انها كلما هوجم زوجها في منزله أو بين اهله وعشيرته كانت هي الى جانبه تحشو له الاسلحة بالرصاص في الوقت الذي يهاجم المقاتلين ويمطر الغزاة بوابل من النيران.

ويصف برانت حاجي زلال آغا، انه كان في الستين من عمره، طويل القامة، قويم البنيان ويبدو انه كان قوياً جداً في صباه وكان قد جرح بشظايا قذيفة أثناء معارك عشيرة خارزان مع الحكومة العثمانية وقد وصف الدكتور ديكسون علاجاً سريعاً في جعل الجرح يلتئم والحقيقة لم يكن جرحه غائراً.

ويعجب برانت بكرم حاجي آغا الذي زود برانت ورجاله بما يفيض عن حاجتهم من الحليب والخراف والاطعمة والخبز لرحلتهم.

وكعرفان بالجميل يقول برانت اهديته شالاً إنكليزياً فاخراً وبعض المناديل المطبوعة في استانبول، ويعلن ان هذه المناديل كانت مفضلة جداً من قبل الكُرد.

وقد جاء ليلقي تحية الوداع عل برانت وكان قد اعتمد هذه المناديل. لقد اعتذر كثيراً عن استضافته التي اسماها (جافة) لانه بحث عن فرس اصيل يهديها الى برانت ولكنه لم يتمكن ان يعثر على ما يليق بضيفه وبما يحظى بالقبول من برانت. يقول برانت، لقد اكدت له باني شاكر جداً فضله وضيافته لهم ورعايته لشؤونهم (٤٢-٦).

حزني موكرياني

إلتقى هاملتون بالكاتب والصحفي الكُردي المعروف في تاريخ الصحافة الكُردية السيد حزني موكرياني ويذكر عنه هاملتون، يقطن البلدة -ويقصد راوندوز- السيد حزني أفندي صاحب الجريدة الكُردية المحلية وهو وحده يتولى تحرير مقالاتها وطبعها وحزمها بيده لذلك كان أنموذجا فريداً من نوعه في العالم. رغب هذا الصحفي في مرافقة هاملتون أثناء جولاته لانه كسائر الصحفيين في العالم لايريد ان يفوته مثال طريف قد يظفر به فالتحق بهاملتون مسلحاً بدفتر ملحوظات مهيب المظهر، كان يرسم فيه صوراً قلمية ومخططات متقنة تدل على نبوغ عظيم (٩٧).

حمه آغا غفوري

إلتقى المستر هَيْ بحمه آغا كبير عشيرة غفوري في مدينة كويسنجق، وكان هذا من المعمرين الكُرد وقيل انه بلغ في عمره (١٣٠) سنة وكان لم يزل ممتلكاً لقواه العقلية بشكل تام ويقول هَيْ ان المقدم نوئيل كان قد اقترح عليه ان يعين حمه آغا غفوري حاكماً للمدينة لان جماعته اكثر عدداً ولسنه ولما له من اعتبار في المنطقة.

يصف مستر هَيْ لقاءه بحمه آغا في دار الحكومة (السراي) يقول، لقد جلس هذا الرجل هادئاً صامتاً. انه يمثل الابوة الحانية ويدأب على تدخين غليون طوله قدمان واكثر وذي ساق مخرزة وقارورة مصنوعة من حجر اسود، وكان عريض المنكبين بشكل غير طبيعي ثم يعقب هَيْ، لو اخذنا بنظر الاعتبار سنه، وقوته البدنية فان الرجل لرائع جداً (١٦٢).

ويقال انه لم يستعمل طوال عمره المديد وحتى في اشد حالات الطقس برودة، الماء الحار في استحمامه أو وضوئه اليومي وان عمره الحق يتراوح بين (٩٥ و ١٠٠) سنة وقد دأب على رئاسة اسرته لاكثر من (٦٠) سنة وكان مسلكه عاصفاً فهو يتذكر الصراع الذي نجم في

حداثته بين باشوات راوندوز والسليمانية وهم الذين تناوبوا على اخضاع مدينة كوي، وقد حارب في شبابه الترك والقي القبض عليه بعد قتال دام واودع السجن فلبث فيه (١٥) سنة وكذلك يذكر هَيْ سمات أخرى في شخصية حمه آغا فهو من وجهة نظره انيس ودود وانه يتوق دوماً، وبخاصة عندما يستشار خصيصاً الى قص القصص عن أيامه الطيبة الأولى والا فانه يغرق في لجة من النوم ابان الحديث وتعلو ثغره ابتسامة لطيفة، وهو روح السماحة وريحانها، وقد كان الشائع بين الناس بانه الشيخ الهرم الوحيد في كُردستان وهو على طهارة قلبه وجميل ظاهره، فطرياً ذو عناد ما بعده عناد. انه طاغية بالنسبة لذوي قرباه لايسامح احداً من اعدائه (١٦٢-٣).

خالد النقشبندي (مولانا خالد)

على الرغم من ان ريج لم يلتق بالشيخ خالد النقشبندي على ما يبدو ولكنه كان في السليمانية آنذاك وقد واكب احداث خروجه من السليمانية.

يصف ريج شخصية الشيخ خالد النقشبندي قائلاً، يقطن السليمانية مسلم زاهد كبير اسمه الشيخ خالد، الا ان الأكراد يعتقدون ان من المهانة ان لاينعت بـ(حضرة مولانا) وانهم أي الكُرد يعدون أو يسمون أقواله بـ(الأحاديث) وهو من عشيرة الجاف، نقشبندي الطريقة انتسب اليها في دلهي بارشاد الصوفي الشهير سلطان عبدالله، وله من المريدين (١٢٠٠٠) مريداً في مختلف انحاء تركيا والبلاد العربية، والأكراد جميعهم يعدونه ولياً.

لقد اخبر عثمان بك ريج بأنه هو ومحمود باشا وزعماء الكُرد جميعاً كلهم من مريديه، فهو على الاقل في منزلة واحدة مع الشيخ عبد القادر الكيلاني الشهير (٩٨). لقد كانت ثقة باشا السليمانية عالية جداً بقداسة الشيخ خالد النقشبندي.

يذكر ريج انه عندما قرر محمود باشا ان يهادن الأتراك -ريج يقول الاستسلام للأتراك- ذهب بصحبة عمه عبدالله باشا واخويه عثمان وسليمان إلى الشيخ رجل السليمانية التقي الكبير انذاك واقسم هؤلاء الثلاثة بيمين الولاء لمحمود باشا ونظراً لتوقعهم محاولة أمير كرمنشاه استمالة احدهم إلى جانبه وتحريضه على الباشا ومناوءة الأتراك اقسموا على السيف والقرآن وبالطلاق بانه إذا تلقى أي منهم كتاباً من تركيا أو إيران فانه يفتحه في دار الشيخ خالد وبحضور من اتفق على ذلك كلهم. ويبدو ان عثمان بك نجح في الاختبار إذ انه اخبر الباشا بورود رسالة اليه من أمير كرمنشاه يوعده بباشويه السليمانية بينما اخفى عبدالله باشا عن ابن اخيه محمود باشا الرسالة التي وصلته في المعنى ذاته. وقد اوقف الباشا عمه بعد ان علم انه يعد العدة للفرار إلى كرمنشاه (١٠٣).

لقد كان ريج في السليمانية عندما هرب الشيخ خالد النقشبندي من السليمانية فقد جاء في مذكراته ليوم ٢٥/تشرين اول/ ١٨٢٠، هرب صباح اليوم الشيخ خالد الشهير وعلى الرغم من ان هروبه كان مفاجئاً وسرياً فانه استطاع ان يصطحب زوجاته معه ولم يعرف حتى الان الوجهة التي سار فيها. لقد وصفه الأكراد قبل بضعة أيام في منزلة ترتفع على منزلة الشيخ عبد القادر الكيلاني وقد اعتاد الباشا ان يقف امامه ليملأ الغليون له اما اليوم فانهم ينعتونه بالكافر ويرددون الروايات العديدة عن غطرسته وكفره وزندقته لقد اضاع الشيخ منزلته اثر وفاة نجل الباشا إذ ادعى انه سيشفيه من مرضه وان بحث في سجل الله عن امره... أو غير ذلك وقد تباينت الروايات عن سبب هروبه وقال البعض انه صار يبذر بذور السوء بين الباشا واخوانه الذين ارادوا ان يواجههم بالامر في حضور الباشا وقال الاخرون انه بدأ في وضع اسس مذهب جديد واراد ان يجعل نفسه سيد البلاد الدنيوي ولقد قيل عنه ولا ريب الكثير واتهم بامور اكثر مما يمكن في الحقيقة اتهامه بها فالعلماء السادة وعلى رأسهم الشيخ معروف كلهم يكرهون الشيخ خالد وقد بزهم كلهم عندما كان له سلطانه (٢٢٧-٨).

ساوار آغا

ساوار آغا رئيس قبيلة بيران وتقع قريته على الجهة الأخرى من جبل هيبت سلطان على مسافة من مدينة كوي، وعندما جاء الى كوي بطلب من المستر هَيْ ذهب هذا الى زيارته في بيت الشيخ عثمان (قائممقام كوي).

ويصف هَيْ ساوار آغا انه ذو شخصية رائعة وهو شاب في الـ(٢٥ أو الـ ٢٦) من عمره وكان قد غدا بعد وفاة والده رئيساً لقبيلة بيران. وهو ذو بنية حسنة وذو روح مترعة ولذلك يكاد يعبده اتباعه وهم الذين قادهم في حملات وغارات عديدة.

ولشد ما اعجب مستر هَيْ بابتسامة ساوار آغا اذ يقول، ان ابتسامته من اشد ما شهدت مثيلاتها روعة وسحراً وملامحه منتظمة وله لحية قصيرة خفيفة ان عينيه صغيرتان متقاربتان مشرقتان ينتابهما شيء من قسوة دوما. وقد ابدى تجاوبا مع هَيْ في اعادة المياه الى مجاريها مع بعض خصومه في المنطقة.

سلطان آغا

إلتقى برانت بسلطان آغا بحضور إسحق باشا، باشا مدينة وان ووجه سلطان آغا الدعوة الى برانت لزيارته في منطقته فهو رئيس عشيرة حيدرانلي الكُردية ويقول برانت عندما علمت

ان سلطان آغا سيحل ضيفاً على الباشا وجدتها فرصة ان اسأل الباشا عن شخصية الأمير الكُردي هذا معبراً عن رغبتي الشديدة في زيارته لانني كنت متلهفاً فعلاً لزيارة شخصية كردية بارزة في دياره ووعد الباشا برانت ان يجلس معه في اليوم التالي سلطان آغا وهو يرد زيارة برانت.

يصف برانت سلطان آغا اذ يقول، كان الأمير الكُردي رجلاً متوسط العمر وسيماً كما ان عشيرته كانت تعد في صف العشائر القوية الفتية.

زار برانت سلطان آغا ويقول، استقبلنا في خيمة استقبال فيها موقد واحد على الطراز التركي، اما الخيمة التي خصصت لحريمه فقد كانت تبعد عن الخيمة بمسافة قصيرة وكانت مصنوعة من شعر الماعز وكانت خيمة سوداء من الطراز التقليدي، وهناك حوالي (١٠) خيام أخرى في هذا الوادي.

يقول برانت انه اصيب بخيبة امل كبيرة وهو يرى رئيساً لعشيرة كردية قوية على مثل هذا الحال من قلة العناية والرعاية. لقد استقبلني رئيس العشيرة هذا في خيمة تركية الطراز وقدم لي فيها القهوة والشربت. في المساء قام سلطان آغا بزيارة برانت في خيمته ويقول برانت انه لمس منه وداً ولطفاً اكبر وكان يبدو اكثر بهجة وسعادة مما لاحظه عليه في (وان).

لقد سأل برانت عن سبب انقسام عشيرة الحيدرانلي الى قسمين، فقال سلطان آغا، ان الجزء الثاني يسكن الاراضي الإيرانية وأن محافظ اذربيجان قد منحهم اراضي شاسعة للزراعة والسكن ونتيجة للحرب التي وقعت بين تركيا وإيران فقد اعترف السلطان العثماني رسمياً ان جزءاً من عشيرة الحيدرانلي تسكن إيران وقد ترأس ذلك القسم شقيق سلطان آغا، قاسم آغا ثم خلفه ابنه بعد وفاته.

ويقول برانت، حسب المعلومات التي لديه ان سلطان آغا ليس غنياً، وقد حاول ان يعرف عدد العوائل أو الرجال الذين بامرته ولم يصل الى عدد مقنع فعندما سأله احد اعضاء الفريق المصاحب لبرانت ما اذا كان عدد الخيام التي يرأسها هي الفي خيمة، رد بالايجاب غير ان مصادر أخرى قدرت قوته بـ(٥٠٠-١٠٠٠) فارس في حين ابلغ اخرون برانت ان اكثر من الفي فارس يعملون بأمرته.

وعندما سأله برانت فيما اذا يسمح له ان يطلع على الجزء الداخلي في خيمته الخاصة، اجاب سلطان آغا معتذراً انه ليس من تقاليدهم السماح للغرباء بالقيام بمثل هذه الزيارة ودخول المخادع الخاصة، فأجابه برانت، انه كان يعتقد ان الكُرد لايخفون نساءهم كما يفعل الأتراك، فقال نحن لانسمح بظهور نسائنا على الملأ.

ويعتقد برانت، ان هذا لاينطبق على نساء الطبقات الادنى مرتبة لان نساء الكُرد كما يقول يتمتعن بحرية منظورة.

والحقيقة نحن نعتقد ان رأي برانت فيه جانب من الصحة ولكننا نرى جانباً اخر لم يره برانت هو ان هناك فرقاً بين ان يرى الغريب نسوة كرديات بشكل عفوي في حياتهن العامة وبين ان يطلب احدهم من كردي ان يرى نساءه ويدخل الى مخادعهن، ففي الثانية استفزاز لكردية الكُردي لا بل شرقيته فليس هناك مسوغ لذلك.

لقد اوضح سلطان آغا، ان عشيرته تتعايش شتاءً مع الارمن، والارمن يزودوهم بالتبن والعلف لاغنامهم لقاء مبلغ من المال متفق عليه، وهو ممتنع عن دفع ضريبة السكن الشتوي لباشا ارض روم لكنه يقدم للباشا هدايا سنوية، ويعتقد برانت ان هذه كانت مراوغة من سلطان آغا، الذي لايريد ان يقر بأنه يدفع ضريبة السكن للباشا.

لقد علم برانت من سلطان آغا انهم غير ميالين لبناء بيوت لانفسهم في هذه المناطق التي يسكنون فيها شتاءً كما استشف من كلامه ان الدولة لاترغب في استقرارهم بل على العكس من ذلك فقد ابعدت الدولة عنوة عشيرة زبيكي وقسماً من حيدرانلي الى إيران.

ويعد سلطان آغا مسؤولاً عن اي اختراقات للامن والنظام في هذا الجزء أو في الاراضي التي ترعى فيها عشيرته اغنامها. ولم يكن من عادة سلطان آغا ان يحتفظ بحرس قرب خيمته الا في حالات التوجس من هجوم محتمل. وقد قدم رجال سلطان آغا عروضاً على ظهور الخيل وبأيديهم الرماح لكن برانت يقول، انه لم يشاهد في تلك الزيارة ما لم يكن قد شاهده أو عرفه عند الكُرد من قبل (١٥٣-٨).

سمكو الشكاكي

لقد إلتقى ادموندز سمكو رئيس عشائر الشكاك وقائد الثورة الكُردية في كُردستان تركيا ١٩٢٠-١٩٣٠ والمطالب باقامة دولة كردية والذي اغتالته قوات الشاه في مدينة اشنو اذ زارها للتفاهم مع الحكومة الإيرانية بعد ان اعطي كلمة شرف من الشاه ان لايصاب بضر من هذه الزيارة.

يذكر ادموندز انه التقى سمكو في (كَردي) حسب الموعد وهي على طريق ديره الخارج من باريكه. ويبدو ان هذا اللقاء حصل بعد الانهيار العسكري الذي اصاب قوات سمكو بسبب التحالف العسكري بين القوات الإيرانية والتركية.

يذكر ادموندز انه التقى سمكو ومعه اخوه أحمد وبعض من اقربائه وزهاء عشرين من

الاتباع. وكان زي الاغوات انيقاً الى حد كبير فشكله موحد ومن قماش السيرج الذي يستخدمه الجيش البريطاني وينتعلون جزم ركوب روسيه طويلة وقبعات اسطوانية طويلة شائعة عند الشكاك تخفيها تماماً عمامة مؤلفة من عدة مناديل حريرية ملفوفة حولها لفاً محكماً وكانت سترهم مزدوجة الصدر ذوات ياقات عالية مزررة حول العنق ويشتملون بمعاطف مما يرتديه الفرسان اما سراويلهم فمحكمة التفاصيل وكأنها قد خرجت لتوها من (سافيل رو Sa-vil Row) وكان كل منهم متقلداً اجندة رصاص عديدة وعند بعضهم نواظير تتدلى من اكتافهم. واما سمكو فكان رجلاً متين الالواح ممشوق القامة ربعة وملامحه لاتختلف قط عن أي قسمات أوربية وشاربه المشذب على طراز فرشة الاسنان يصلح ان يكون مظهر اناقة لاي ضابط بريطاني وقد كشف عن انتظام اسنانه البيضاء اللامعة بابتسامته العذبة التي قد تبدو ابتسامة تواضع وخجل.

يقول ادموندز، انه لايكن للإيرانيين شعوراً بالحقد خاص فقد جرّعهم بقدر ما جرّعوه واخذ قدر ما اخذوا منه لكنه يريد الان تصفية الحساب مع الترك الذين تظاهروا بدعمه ثم انقلبوا عليه.

ويعقب ادموندز على لقائه بسمكو، انه استغرب كثيراً لحذرنا من اثارة شعور الإيرانيين في حين انهم يتعاونون تعاوناً سافراً مع الترك على طول الحدود بعد طردهم من راوندوز ورانية وهم ما زالوا يحاربوننا علناً وقال انه جاء مؤملاً ان يكون الإنكليز على استعداد لتبني قضية تحرير الشعب الكُردي، بالوقوف ضد الحكومتين المعاديتين للكرد فاذا كان مخطئاً في أمله هذا فلا رغبة له في ان يطلب حق اللجوء منهم أي من الإنكليز بل سيعود الى دياره وقبائله ويبذل جهوده بمفرده. وهذا ما حصل فعلاً حتى لقي مصرعه غيلة.

لقد لاحظ ادموندز في لقائه مع سمكو ملاحظة لاتمت الى سمكو وحده بصلة، ولكنه يقول لقد توصلت الى حل سؤال كان يراودني دائماً وهو كيف يسهل عليّ ان اتزود بمعلومات دقيقة عن أي مؤامرة قبائلية كردية؟ كان اجتماعنا قد تم داخل ابواب مغلقة في مضيف جميل آغا كَردي وكان الخادم (القهوجي) يدخل بين آن وآخر لتوزيع فناجين القهوة علينا بالطريقة العربية التي تقتضي منه القيام بدورة أو دورتين أو ثلاث كل دفعة. ولاحظ ادموندز ان هذا (القهوجي) بعد كل دورة يسند ظهره إلى ركن الباب كأنه غير ملق بالاً إلى ما يجري، وبدا لادموندز ان الكُرد المجتمعين لايلحظون ابداً بانه يصغي بأذان مرهفة الى ما يدور وكانت مهمة اخراجه أو ايقاف الحديث عند حد والتزام جانب الحذر تقع عليه أي على ادموندز كما يذكر وعلى زميله لاين (٢٧٧).

شريف بك (شيخ الجامع)

إلتقى برانت بشريف بك في قصبة خيني ، وهو من مدينة دياربكر، يصفه برانت، كان رجلاً فاضلاً دمث الاخلاق واصدر أوامره بتلبية ما يحتاجه برانت ورجاله من زاد.

لقد رد برانت الزيارة، وقد عجب من الموقع البائس لاقامته، وقد تحدث شريف بك عن منجم للحديد كان يعمل بمساعدة من الأوربيين وهو منجم يقع بين قصبتي خنيني وبالو.

ويذكر برانت ان شريف بك سأله فيما اذا كانت إنكلترا احسن من هذا القطر، فأجابه برانت ان المسألة لاتحتمل المقارنة، اذ قال له، ان إنكلترا كلها مزروعة بشكل ممتاز اما هنا فالارض جرداء قياسا بإنكلترا وان الناس في إنكلترا حرفيون ميالون دائماً للتطور والتقدم على عكس الناس هنا.

وقد ابدى شريف بك ملاحظاته عن الناس من حوله انهم متخلفون وغير اذكياء فهنا لم يدخل الناس لحد الان العربات الى المنطقة على الرغم من دخولها الى باقي اجزاء القطر وانها مصنوعة خصيصاً لمثل هذه المناطق.

والحقيقة فان برانت اجاب شريف بك ما كان على شريف بك ان يقوله، لكنه ربما كان يخشى قول الحقيقة. لقد اجابه برانت ان تخلفهم يعود اساساً الى طبيعة الحكم الذي يتولى زمام الامور في البلاد وليس ناجماً عن غبائهم.

لقد اعترف شريف بك شيخ الجامع بصحة ما ورد في اشارة برانت من حقيقة مرة، غير انه قال بان الأهالي عندما يصابون بالثراء يصبحون عرضة للغرور والمفاخرة الى درجة انهم ينسون واجبهم وقد ضرب مثلاً على ذلك بسلوك البكوات في المنطقة المجاورة كدليل حي على صحة ما يقول اولئك البكوات، المنتفخي البطون بالثروات والاموال الكثيرة والذين ينقلبون بين ليلة وضحاها الى متمردين.

لقد رد برانت عليه، لو كانت هناك حكومة عادلة تمتلك سيطرة صحيحة فان كل الدوافع للتمرد عليهم كانت ستزول وربما تكون هذه الدوافع ردود فعل وشكلاً من اشكال الدفاع عن النفس بإزاء القهر والظلم.

لكن شريف بك كان يأمل ان تصبح المنطقة خاضعة لسيطرة حكام وسلطات معينة دستورياً وان المواطنين بسبب ذلك سينعمون بالسلام وسوف يتبع ذلك رخاء نتيجة للاوضاع الجديدة، لكن برانت انبرى يحاجج شريف بك على توجيهاته التي عدها شكلاً من اشكال الاعتقاد باللاديمقراطية. انه يعلق على فكرة شريف باشا انها فكرة متهرئة وهي شكل من اشكال النمط

التركي في التفكير أي فكرة اخضاع الناس من قبل السلطة والحد من معارضتهم.

يبدو لنا ان شريف بك، شيخ الجامع لم يكن كردياً من المنطقة، فهو يتهم اهله بالغباء تارة ويبدي فرصته بمجيء حكام الى المنطقة معينين دستورياً ولا شك ان هؤلاء يمثلون الدولة (الباب العالي) أو ربما كان (شيخ الجامع) هذا شخصاً وصولياً، والانظمة اللاديمقراطية الظالمة تفرز هذا النمط من الاشخاص حتى ان كانوا رجال دين.

يقول برانت سمعت من صراف من دياربكر انه جاء الى هنا عند شريف بك (شيخ الجامع) لاستعادة مبلغ (٢٥٠) ليرة منه كان الشيخ قد استدانها لشراء هدايا بمناسبة تعيينه بمنصبه الجديد وان الصراف توقع الحصول على المبلغ المذكور. في الحال لان الضريبة السنوية كانت ستفرض على الناس في تلك الفترة، وهكذا كانت الضرائب تفرض على الناس ليس من الدولة فحسب وانما لإشباع نهم وجشع الباشوات والمتنفذين وأذنابهم (٥٥-٨).

شيخ الإسلام في سنه

عندما وصل سون الى استانبول اصيب بما يشبه خيبة الامل، اذ يقول سرعان ما علمت اثر وصولي القسطنطينية ان الأكراد فيها كثر لكنهم من الكرمانج وتراءى لي ان امالي في العثور على كردي من كُردستان الجنوبية -كُردستان إيران- لن تتحقق والسبب في رغبة سون الالتقاء بكردي من كُردستان الجنوبية على حد زعمه هو اتمام دراسات خصص لها سنه واجراها في كرمنشاه الكائنة في فارس الغربية والحقيقة لايذكر سون نوع هذه الدراسات هل كانت لغوية أو إستشراقية ام ماذا؟

لقد اعلمه احد اصدقائه الفرس في الاستانة بوجود شخص كردي روحاني من مدينة سنه في كُردستان إيران وقد وصل حديثاً ويلقب بشيخ الإسلام ولقد بحث سون عن شيخ الإسلام هذا حتى وجده نازلاً في احدى خانات استانبول والتقى به هناك وكان إنطباع شيخ الإسلام عن سون انذاك انه شخص أوربي فقد كان يتزي بالزي الأوربي (٢٥). وقد افاد سون بانه أوربي حسب ادعاء شيخ الإسلام من بعد في حلبجة.

ويبدو ان شيخ الإسلام هذا ضاعت عليه الحقيقة اكثر من مرة لكنه لم يقتنع قطعاً بالشخصية التنكرية التي طلع بها سون على المجتمع في السليمانية وحلبجة.

ومن خلال دراسة المواقف بين سون وشيخ الإسلام يمكن ان نستنتج ان موقف سون كان موقفاً لا اخلاقياً تجاه شيخ الإسلام واقول لا اخلاقي لانه اضطر لان يكذب ويلفق ويلصق ما ليس بشيخ الإسلام من اجل ان يحافظ على شخصيته التنكرية وان يمرر دوره المرسوم له.

لقد كان سون قلقاً في ان يلتقيه شيخ الإسلام في احد الأيام وهو الذي حل ضيفاً على عثمان بك الجاف كبير عشيرة الجاف انذاك وان كان لم يكن موجوداً بل كانت زوجته عادلة خانم هي التي تدير دفة الامور وبقي سون يعاني من خشية اللقاء العفوي بينه وبين شيخ الإسلام بعد ان عرف انه يتردد على مجلس عثمان بك وان كان لايعيش في مدينة حلبجة بل في قرية بياره على مسافة منها.

لقد سعى سون بنفسه مع خادمه حمه الى القرية التي يسكنها الشيخ لتفادي افتضاح امره واخذ معه (كلال*) أربع من السكر هدية للشيخ، لكن الشيخ استقبل سون بجفاء ورفض استلام الهدية. يقول سون، كان يجلس القرفصاء بجانب نافذة صغيرة ويدخن سيكارة ورد التحية بمثلها ودعاني الى الجلوس بجانبه وما ان عرفني الا هتف: آه! أأنت هو؟

وعندما جلس سون واستفسر عن صحته اجابه الشيخ بجفاء، والتزم ضمير المخاطب المفرد وهو امر يجافي اللياقة في مخاطبة الزائر. وبعد ان عرف ان سون قد جلب له هدية صرخ بغضب وبوجه عابس في وجه سون ان يأخذ هذه الهدية (السكر) من حيث جاء بها وقد اهان الشيخ خادم سون ايضاً ثم التفت الشيخ على سون قائلاً:

اذن انت إنگليزي القسطنطينية، كيف يستطيع أوربي ان يجد السبيل منها الى هنا وهو على مثل هذا التنكر لايرعاه احد، يتكلم الكُردية ويصطنع الفارسية باعتبارها لغته؟ عندما كنت في القسطنطينية كنت ضيفي وما كنت بقادر على ان اقول شيئاً لك وان كنت اعلم امرك لكني هنا استطيع ان اقول كل شيء بحرية ذلك ان كلاً منا غريب -ويقصد الشيخ انه من سنه وليس من بياره وهو ضيف على التكية- وهذا يفسر لم لم اقبل منك هدايا لا اروم ان أسيء اليك لكنني هنا في تكية دراويش اذ طعامنا لايعدو اللبن والخبز كما اننا لاننغمر في الكماليات وعلى هذا، ولكوني احل في بيت رجل آخر ضيفاً فلست بقادر على ان اقبل من أي فرد هدايا.

ومع ذلك وبكوني لا انطوي على سوء بالنسبة اليك وان كنت قد خدعتني مرتين، حين جئت الي هناك متنكراً والى هنا متنكراً ارجو ان تكون صريحاً وتخبرني من انت حقاً وما عملك؟ بعد تلك التحريات الدقيقة في القسطنطينية. (٢٢٧-٢٩)

ويبدو ان سون قد قدم بعض الاوراق والمستمسكات الى شيخ الإسلام ليثبت له بانه فارسي وان مسقط رأسه شيراز واجابه الشيخ، نعم كلها صحيحة ظاهرياً ولكن كيف لي ان اعرف انها ليست مزيفة؟ ثم سأله عن غايته من زيارته له بالذات.

* كلال: المفرد منها كلّه أي رأس، وإصطلاحاً هي كمية من السكر المتماسك الملفوف بورق سميك وعلى شكل مخروط، يكسر الى قطع صغيرة لإستعماله مع الشاي.

ويبدو ان سون بدأ يلفق قصة سياسية على انه انغمر في مشكلات سياسية في طهران أيام (محمد علي باشا) ثم هرب الى لندن ويقول سون حول هذه الكذبة، لست اعلم ان صدق هذا ام لا، لكنه تظاهر بالاطمئنان اليه.

حاول الشيخ ان يعطي شيئاً من المال الى سون لان اللصوص كانوا قد هاجموه وهو في طريقه الى الشيخ وسلبوه، فرفض سون استلام المبلغ وذكره بانه هو بدوره رفض هديته وعلى أي حال فقد تناول سون وشيخ الإسلام الغداء معاً (اللبن والخبز) وحاول شيخ الإسلام ان يطيب خاطر سون فاشاد بشجاعته ولكنه انتقد الفرس ودافع سون عنهم كونه (فارسياً) (٣٣٠-٣٢).

ان سون كان قد اقنع خادمه (حمه) افتراءً ان شيخ الإسلام مدين له فقد اقرضه بعض المال عندما كان في استانبول وانه ينوي الذهاب اليه لاعادة دينه، وهكذا فان حمه المسكين كان قد زامل سون بروحية من سيذهب لاستعادة الدين (٣٢٢).

ان الغريب حقاً ان موقف شيخ الإسلام تغير تماماً بعد ذلك، فهل اكتشف في ميرزا غلام ما كانت قد اكتشفته عادلة خان وزوجها ام انه بدأ يتوقع ان هذا الـ(ميرزا غلام) مبعوث على مستوى دولي عال؟

ان سون نفسه يقول عندما اراد الرحيل، على حين غرة مثل (شيخ الإسلام) وجاء يسعى الى مقابلتي وكان يشق علي ان اقابله مرحباً كما كان (حمه) يحقره علناً لكن هذا امر كان غير مرغوب فيه جلياً لذلك استقبل باكثر تحفظ استطعنا ان نصطنعه وكنت امل ان اراه ناقماً منتقماً لانه لابدّ ان يكون قد سمع كيف ان اموري في حلبجة قد سارت الى الرخاء.

لقد كان انيساً ودوداً ويجنح الى التذلل قليلاً ولم اعرف لماذا اتخذ هذه الوجهة ابداً؟؟ ويصف سون كيف ان شيخ الإسلام رجاه ان يبقى في حلبجة وان لايرحل الى السليمانية!!

لقد زار حمه في احد الأيام مجلس عادلة خانم فوجد شيخ الإسلام فيه ومن غير ان يرد التحية سأله، ماذا فعلت بسيدك النصراني؟

لقد اثار السؤال الخواطر وطلب كل من عثمان بك وعادلة خانم تفسيراً لذلك فهب شيخ الإسلام يذكر كيف انه لقي سون في استانبول يرتدي الملابس الأوربية وكيف انه صرح بانه أوربي على انه يرتدي الان زي المسلمين ويدعي بانه فارسي وقال انه كان في استانبول متأكداً من انه ليس بأوربي. لقد خاب في معرفة هويته لكنه كان يذهب إلى احتمال كونه ليس بمسلم وقد تكون لديه خطط شريرة حملته على التنكر والمجيء الى قلب كُردستان الجنوبية وشهّر بسون باعتباره جاسوساً وصانع شر ثم شتم حمه لصلته بسون ولكنه سرعان ما لقي معارضة

من عادلة خانم لانها كانت قد شهدته يقيم الصلاة مرات عديدة وبالحمية التي كان يقيم بها شيخ الإسلام صلاته تماماً واكدت انه فارسي من شيراز وهي حقيقة تتجلى من كلامه. وتشجع حمه بهذه الشهادة التي تدلي بها السيدة عادلة بعد ان شهد اخرون ايضا بصحة صلاة سون ليقول أي حمه انه هو الذي يعرف سبب عداء شيخ الإسلام لسون أو كما يسمى (ميرزا غلام) ان شيخ الإسلام عندما كان في استانبول كان قد اقترض من ميرزا غلام (سون) مبلغاً من المال ولما ذهب ميرزا غلام الى بياره يطالب بدينه كي يستطيع العودة الى بلده فان شيخ الإسلام رفض وهذا هو سر مجيء سون الى السليمانية وحلبجة وهو في طريقه الى فارس لكن شيخ الإسلام يريد ان ينكر هذا الدين فاتخذ هذا الموقف كي يرعب سون (ميرزا غلام) هذا مما جعل السيدة عادلة تصدق وتغضب كثيراً من شيخ الإسلام بعد ان اقتنعت بكلام حمه. ان حمه كان يعتقد انه يتكلم الحقيقة لان سون كان قد كذب على حمه في تبرير ذهابه به الى شيخ الإسلام لاستعادة قرضه ويقول سون بهذا الصدد، وعند هذا انقلب الوضع وتكلمت السيدة عادلة اصالة عن نفسها ونيابة عن الباشا - وتقصد زوجها عثمان باشا - بما ينم عن انكارها بعبارات قوية وقالت لشيخ الإسلام ان لم يعتذر لحمه فانهم سيطردونه لا من بيتهم حسب بل من الديار كلها وعلى ذلك قدم الاعتذار وانفه راغم وهو خزيان جداً وجاء حمه يعلو رأسه اكليل النصر (٥٧-٨).

انها قصة مؤسفة حقاً فقد استطاع سون ان يمرر هذه الكذبة التي انطلت على حمه وبعدها انطلت على السيدة عادلة واهين شيخ الإسلام وليس هناك من اشارة في مذكرات سون ان عادلة خانم قد حققت في الموضوع وهل حقاً ان شيخ الإسلام كان قد اقترض مالاً من سون وانكره عليه؟

ان هذا قول باطل لا شك فلو كان شيخ الإسلام مديناً حقاً لما رغب في منح سون بعض المال كهدية عندما زاره سون في بياره ورفض سون ذلك كما اشرنا ثم ان سون يشير الى انه اراد ان يقنع حمه بمبرر لزيارة شيخ الإسلام. ان عبارات سون الأخيرة تؤلم القاريء حقاً اذ يقول، وعلى ذلك قدم الاعتذار وانفه راغم وهو خزيان جداً.

كان الله في عون شيخ الإسلام وهو يضطر لتقديم الاعتذار لـ(حمه) وهو لم يقترض شيئاً سوى ان شكوكه حول سون كانت تلاحقه وهو لم يسع الى سون بل سون هو الذي سعى اليه سواء في استانبول أو في بياره.

يمكن ان نخرج ببعض التأويلات من موضوع سون وشيخ الإسلام وربما اثبتت الأيام هذا التأويل أو دحضته لكننا لانستطيع ان نتخفى عن شكوك تساورنا ونحن نقرأ هذه القصة، قصة ميرزا غلام (سون) وحمه وشيخ الإسلام... وما انتهت اليه.

احسب ان شيخ الإسلام كان شخصية كردية قومية اضطره موقفه السياسي ان يغادر كُردستان إيران وربما كان بمثابة لاجيء سواء في تركيا أو عن بعد في المناطق التي تخضع لحكم عثمان باشا الجاف وبالحقيقة المناطق التي تديرها عادلة خان زوجة الباشا، لذا فان انذار عادلة له بانهم سيطردونه لا من بيتهم حسب بل من ديارهم اثر فيه تأثيراً كبيراً وجعله يضطر للتنازل الى خادم سون (حمه) ويقدم الاعتذار اليه وهو لم يفعل شيئاً كما قلنا سوى انه اعلن عن شكوكه في نصرانية ميرزا غلام.

ان ما يبرر اعتقادنا هذا ان سون كان قد علم وهو في حلبجة ان شيخ الإسلام كان قد طلب عوناً مسلحاً من السيدة عادلة ليجهز به على مدينة سنه في كُردستان إيران وان يبطش بأعدائه بما في ذلك الحكومة والسلطات الدينية فيها، لكن عادلة خان رفضت ذلك ومنعته منعاً باتاً وانذرته بالقائه في غيابة السجن فاضطر بعد مشادة حامية ان يتخذ السبيل إلى مكان مقدس في جبل هورامان حيث كان شيخ قرية بياره قد بنى تكية لنفسه ويأوي اليها الدراويش والطواف.

ويضيف سون ان شيخ الإسلام هذا لم يتحرك أو يتململ فيما خلا زيارات كان يؤديها إلى حلبجة بين الفينة والفينة، كان يسمح له بها ولكنه لم يكن ليلقى ترحاباً (٣٢٠).

ومن خلال مناقشة جرت بين شيخ الإسلام وسون نستدل ايضاً ان شيخ الإسلام هذا كان في صدره امر ما. إذ يذكر سون انه بعد ان اقنع شيخ الإسلام انه من اهل فارس وبسبب مشكلات سياسية في طهران أيام (محمد علي شاه) هرب سون (ميرزا غلام) إلى لندن، قال شيخ الإسلام والابتسامة تعلو محياه، اذن، لقد هربت لتنجو من السجن والموت، مصير بعض مواطنيك، فاجابه سون:

- على غرار ما فعلت انت بالهروب من سنه في زمن ليس ببعيد. فأجاب الشيخ:
- اولئك الكلاب الفرس، ذوو اللسان المداهن. انك واحد من النسل الملعون، وعندك هذا اللسان ايضاً. ما اشد شوقي إلى ان ارى هؤلاء الفرس يذبح بعضهم بعضاً (٣٣١).

ترى هل كانت السيدة عادلة جاف تعرف الهوية الحقيقية لميرزا غلام (الميجر سون) وتعرف طبيعة مهمته في المنطقة وهي لم تكن متعاطفة مع العثمانيين؟

وبعد كل ما تقدم... ونظرة الى الوراء... لقد اصبح سون في رحلته الثانية الى كُردستان حاكماً سياسياً في السليمانية... وكانت السليمانية تنتظر من سون وامثاله ان ينظروا نظرة انسانية الى قضيته (الشعب الكُردي) ان سون الذي تحدث بنفسه عن اكاذيبه واحابيله مع شخص كردي واحد (شيخ الإسلام) كان هو وأمثاله يصنعون (الدول) في الشرق الاوسط...

صديق شمزيني

هو حفيد الشيخ عبيدالله الشمزيني الساكن في قرية نهري وكان جده هذا يسعى مخلصاً لتأسيس دولة كردية وكانت ثورته (١٨٨٨) واسعة واستطاع ان يمتد بقواته الى مناطق خارج كُردستان تركيا ولكن قبض عليه من بعد وعلى ابنه عبد القادر ونفيا الى استانبول.

يذكر ويگرام استطاع الشيخ صديق ان يثرى من خلال تجارة الاسلحة التي كان يشتريها ويبيعها في اورمية ويوجد في نايري* قائمقاماً تركيا ومفتش حصار التبغ اسكنهما الشيخ في بيت جميل بناه من ارباح تجارته وقد كان واجب وظيفتهما ايقافها أي ايقاف تجارته عند حد، الا ان هذين الحيوانين الاليفين ثم تدجينهما تماماً (١٥٣).

لقد طلب الشيخ صديق من ويگرام رسالة توصية الى بنك إنگليزي قائلاً ان لديه مبلغاً من المال يرغب في ايداعه، فزكى له بنكاً أو اثنين على الرغم من ان ويگرام كان يرجح ان أي بنك لن يوافق على طلبات الشيخ، لانه كان يطلب فائدة على مبلغه تتراوح بين عشرة بالمائة وخمس عشرة ويشترط سحب الودائع عند الطلب، ولكن كما يذكر ويگرام، سرعان ما استجيب لطلبه ووجدت بضعة الاف من الباونات سبيلها فعلاً الى شارع لومبارد المالي في لندن.

ويعلق ويگرام على هذا الامر بعبارة لنا رأينا الكُردي فيها اذ يقول (حقاً ان أمير المهربين هذا كان في سعة من الرزق، زعيم عصابة تهريب كردي ذو رصيد مالي كبير في إنكلترا انه ليبدو امراً صعب التصديق) (١٥٣).

نعتقد ان الشيخ صديق لم يكن مهرباً بل تاجراً فالشيخ صديق كان كردياً ومن اسرة مناضلة قومية وهو غير ملزم بالامتثال الى قوانين الدولة العثمانية وهو اساساً لايعترف بها بل ينادي بالانفصال عنها وكذلك هو غير ملزم بالامتثال الى قوانين الدولة الإيرانية وهو خارج عليها سعى جده وابوه لفصل كُردستان عنها.

اذن لايمكن ان (يمنح) الشيخ صديق الشمزيني لقب (مهرب)، لقد كان تاجراً بين ثلاث دول روسيا وتركيا وإيران اثنتان منهما عدوتان لدودتان للشعب الذي ينتمي اليه الشيخ صديق ووالده وشقيقه منفيان.

ويتحدث ويگرام عن قسوة الشيخ صديق في إضطهاده للمسيحيين، ويذكر انه فتك عمداً بأحد الاساقفة بعد ان دعاه الى بيته، هذه الحادثة التي يصفها ويگرام بانها هزت ضمائر

* نايري وكذلك نهري: قرية الشيخ الشمزيني في كردستان تركيا قريبة من الحدود العراقية الإيرانية.